جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: **الرابعة**

المادة : **تاريخ البلاد العربية المعاصر**

عنوان المحاضرة:**(دور الفئات المثقفة في عملية التحديث في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر)**

أسم التدريسي : **أ.م.د.محمد عماد رديف**

إلايميل الجامعي للتدريسي :mohammed@tu.edu.iq

دور الفئات المثقفة في عملية التحديث في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر

بدأت عملية إنشاء المدارس الحديثة مع تنامي الحاجة اليها فقد ازداد عدد المدارس في الدولة العثمانية بسرعة تتناسب مع مع التغييرات التي شهدها المجتمع العثماني وجاء نظام المعارف العمومية في عام 1869 ليعطي دفعا قويا للمؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية فبموجب هذا النظام تقرر فتح مدرسة ابتدائية واحدة في الاقل في كل حي وقرية وتأسيس مدرسة رشدية "متوسطة" في كل قصبة يقطنها 500 اسرة كحد ادنى واقامة مدرسة اعدادية في كل قصبة يسكن داخل ضواحيها ألف اسرة، وهذه المدارس ازدادت أعدادها وقامت بتحديث المناهج الدراسية نفسها بما يتلائم مع الاوضاع والاحتياجات الجديدة فعلى سبيل المثال تنوعت المناهج الدراسية للدراسة الاعدادية لتشمل اللغة الفرنسية ،الحساب،الهندسة والجبر، المثلثات،علم الفلك ،علم الجغرافية،التاريخ ،علم الطبيعةوالكيمياء ،الميكانيك ،علاوة على العلوم الدينية واللغات التركية والعربية والفارسية والخط والرسم وانشئت مدارس اهتمت بالتعليم العالي والتعليم المهني ، كما برز توجه الدولة العثمانية لايفاد الطلاب للدراسة في الجامعات الاوربية وأنشأ العثمانيون من غير المسلمين مدارسهم الخاصة الحديثة وأنشأت أيضا مؤسسات كبيرة في مجال التعليم العسكري الاولي والعالي وكان للبعثات التبشيرية ولاسيما مدارسها دور ملموس في نشر التعليم الحديث بين مختلف عناصر الدولة العثمانية.

وكل هذا التطور والتحديث ساهمت في تكوين وبلورة الفئة المثقفة العثمانية وساهم في بلورتها احتكاك المثقفين العثمانيين بالمثقفين الغربيين بشكل مباشر وفعال بحكم وجود أعداد من المدرسين والخبراء الأجانب في المؤسسات التعليمية العثمانية ، وكما كان هناك تماس بين الأجانب والمثقفين العثمانيين أسوة بغيرهم من سكان المدن.

وقد ساهم هذا التفاعل في تشكيل معارضة سياسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في حزيران 1865 وعرفوا باسم العثمانيون الجدد، والعثمانيين الجدد هم كانوا موظفي الحكومة ومن ابناء الاسر البارزة في النخبة العثمانية تلقوا تعليمهم في المدارس العثمانية الحديثة او ارسلوا للدراسة في الخارج وكانوا على المام جيد بلغة اجنبية واحدة او اكثر وهو مايظهر واضحا

من خلال ملاحظة خلفية المجموعة المؤسسة المتكونة من ستة اشخاص اولهم محمد بيك الذي تلقى تعليمه في باريس وعاد مشبعا بالافكار الغربية التي اثر من خلالها بقوة على اثنين من اصدقائه هما نوري بيك ورشاد بيك والثلاثة كانوا يعملون في مكتب ترجمة ويبرز بين أعضاء الجمعية الاديب والشاعر المعروف نامق كمال(1840–1888) والعضو الخامس هو اية الله بيك الذي ينتمي الى اسرة معروفة وحظي بتعليم استثنائي في جميع جوانبه جامعا بين الثقافتين الشرقية والغربية أما العضو السادس والاخير في المجموعة فهو رفيق بيك صاحب جريدة المرآة.

لقد ابدى جماعة العثمانيين الجدد اعجابهم بالحضارة الاوربية مع تأكيدهم على المظاهر التقدمية للاسلام اذ حاولوا بمفاهيم اسلامية تبرير تبني المؤسسات الغربية معتبرين ذلك التبني عودة الى روح الاسلام الحقيقية لا ادخال شيئ جديد عليه أما في الشؤون السياسية فكانوا ديمقراطيي النزعة يعتقدون ان النظام البرلماني الحديث ليس سوى بعث لنظام الشورى الذي كان قائما في فجر الاسلام وأنه الضمانة الوحيدة للحرية وهذا أدى بهم الى الاصطدام بالحكومة التي انتقدوا طابعه الاوتوقراطي لكنهم أكدوا انتمائهم الى المجتمع العثماني.

كان اولئك المثقفون بشكل عام غير راضين عن الاصلاحات التي كانت تقوم بها الحكومة العثمانية لانها لم تكن في نظرهم جذرية وقادرة على التغيير والقضاء على المساوئ الاساسية في الدولة العثمانية.

لقد استطاع العثمانيون الجدد تشكيل التيار الاقوى بين المثقفين العثمانيين لمدة ليست بالقليلة من خلال استثمارهم الامتعاض الموجود بين العثمانيين ولا سيما المسلمين من الطابع العلماني التغريبي الجاد لعملية تحديث الدولة واستفادة المسيحيين من ذلك على وجه الخصوص وشكل هذا الامتعاض العمود الفقري للحركة.

ان العثمانيين الجدد باستثناء احترامهم المستمر والمتعمد للرموز الاسلامية كانوا ميالين نحو العصرنة ونخبة التغريب ومؤيدين للسير باتجاه التحديث باستخدام التقنيات الغربية واعتراضهم كان منصبا على الافراط في التعريب والتخلي عن الحضارة المحلية ويبدو ان الاسلام عندهم كان نظاما للحياة أكثر من كونه مسالة اعتقادية، وفي هذا المناخ من الافكار الجديدة والصراع بين مفاهيم الاصلاح والتغريب والميول والمحافظة والفكرة العثمانية والبعث الاسلامي والنزعة

القومية ولدت حركة العثمانيين الجدد فوجدت النخبة العثمانية الشبعة بالفكر الغربي ان اختارت لنفسها المعترك الفكري وسيلة اساسية لايجاد سبيل لانقاذ الدولة العثمانية وتغيير حالها على وفق تصور جديد في كل الميادين وكان تأسيس الحركة يشير الى بداية احساس الفئة المثقفة بقوتها الذاتية وحاجتها الى التعبير عن نفسها.

وكان العثمانيون الجدد لا يجيدون استخدام العنف في التغيير بل عن طريق نشر ارائهم الفكرية في الصحف والتعبير عنها على المسرح وكانوا مرتبطين بشكل او بآخر بمهندسي التنظيمات مصطفى رشيد باشا ومحمد فؤاد باشا وعلي باشا في البداية ثم بالامير مصطفى فاضل عندما انتقلوا الى باريس لايمان هؤلاء جميعا بضرورة اجراء الاصلاحات في الدولة العثمانية، وكانت المطالب الرئيسية لاولئك المثقفين تؤكد على الحرية السياسية وحق المواطنيين في ممارستها ضمن حدود القوانين والشرائع مع التأكيد على أهمية الدستور الذي يجب أن يكون ضد كل نظام استبدادي وتسلط فردي سواء أكان ممثلا بالسلطان أم بالصدر الاعظم والوزراء وإقامة حكم يفسح المجال أمام الشعب للمشاركة في تشريع القوانين وتحمل مسؤولية الحكم من خلال برلمان منتخب والتحرر من السيطرة الاجنبية وأكدوا على المظاهر التقدمية للاسلام، وضرورة استبدال النظام الاداري العثماني المتوارث بنظام جديد يتلائم ومتطلبات الواقع الجديد للدولة العثمانية.

وكانت الصحافة هي التي جمعت العثمانيين الجدد المعارضين لسياسة السلطان عبد العزيز واصبحت وسيلة للتعبير عن ارائهم وافكارهم وموقفهم من السلطة العثمانية فصدرت صحيفة المراة لصاحبهل رفيق بيك واية الله بيك وصحيفة تطوير افكار ومحررها نامق كمال واصدر علي سوافي صحيفة المخبر عام 1867 وبعد تقييد حرية الصحافة بسبب انتقاداته لسياسة الحكومة العثمانية ومطالبة محرريها بالحكم الدستوري واصلاح أحوال الدولة بدلا من الحكم الاستبدادي ثم تعطيل تلك الصحف وملاحقة محرريها فشعر أولئك الصحفيين ان الخطر اخذ يهددهم فغادروا البلاد قاصدين العاصمة الفرنسيةة باريس ، وبعد انتقالهم الى باريس مارسوا نشاطهم السياسي ضد السلطان عبد العزيز وحكومته واجتمع كلا من ضيا باشا (1825–1880) الذي عمل موظفا كبيرا في الحكومة قبل خلافه مع الصدر الاعظم عالي باشا ،ونامق كمال، ونوري بيك، وعلي السوافي(1838–1878) رئيس تحرير صحيفة المخبر ومحمد رشاد ورفعت بيك واغا

افندي ومصطفى فاضل في منزل الاخير في باريس وقرروا تأسيس منظمة جديدة دعوها **(جمعية الشباب العثمانيين)** وكان الغرض تحقيق الاصلاح الداخلي في الدولة العثمانية على اساس المبادئ التي تضمنها رسالة مصطفى فاضل للسلطان عبد العزيز والتي تطالب بالاصلاحات الضرورية في الدولة العثمانية لاسيما الاصلاح الدستوري وخطت الجمعية بخطى وئيدة ولكن لم يزد عدد اعضائها عن مائتين وخمسة واربعين عضوا.

كانت الصحافة المصدر الرئيس لنشر الاراء والطروحات الفكرية للمثقفين العثمانيين الشباب فأصدرت الجماعة في 29حزيران1868 العدد الاول من صحيفة الحرية بإدارة نامق كمال وضيا باشا وبتأييد ضمن من مصطفى فاضل ورئيس تحريرها رفعت بيك،وقد عبرت الصحيفة من اتجاه العثمانيين الاحرار واحتوى العدد الاول على مقالتين رئيسيتين الاولى بعنوان(حب الوطن من الايمان) وتتحدث عن الوطنية وتروج لفكرة الوطنية العثمانية والتاكيد على الانتماء الى المجتمع العثماني . أما المقال الثاني فهو بعنوان (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) ويركز على ضرورة قيام حكومة عثمانية دستورية مسؤولة أمام الشعب واستمرت الجريدة في اعداده اللاحقة تنشر مقالات تدور حول الفكرتين السابقتين أي الوطنية العثمانية والحكومة الدستورية، وفي عام 1871 انحلت الجمعية عندما سمحت السلطات العثمانية لزعماء الحركة بالعودة الى اسطنبول.